[وفيها توفِّي]

محمد بن علي[١]

أبو عبدالله بن المهتدي، الهاشمي، ويُعرف بابن الحَنْدَقوقي، سمع الحديث، وكان يسكن بباب البصرة، ومات في ذي الحجة، ودُفِنَ في داره، وكان صحيحَ السماع ثقةً.

السنة الثانية والسبعون والأربع مئة

فيها وقف العميد أبو نصر القريةَ المعروفةَ بالمالكية من طريق خراسان على مشهد موسى بن جعفر عليهم السلام، وكان مُحبًّا للعلويين، يقضي حوائجهم، وزوَّجَ عدداً منهم، وخَتَنَهم[٢]، وخرج في ثالث مُحرَّم إلى أصفهان، وبعد خرجه تُوفِّيت والدة فخر الدولة ابنِ جَهير بباب العامة، وحُمِلت إلى تربة الرُّصافة، فدُفِنت بها ليلاً، وتبعها الخدم والحواشي.

قال محمد بن الصابئ: في ربيع الآخر وصل الأمير تاج الدولة تُتُش إلى دمشق وملكها.

ذكر القصة: كان بدر الجمالي قد سيَّر من مصر إلى دمشق الجيوش من العرب والغُزِّ والأكراد والصنهاجة والبربر والسودان وبني خفاجة، والأمير عليهم غلامٌ له متقدِّمٌ عنده، والأمر مردودٌ إلى أبي الفرج المصري، فساروا إلى دمشق، وحصروا أتْسِز، فأرسل إلى تُتُش وهو يحاصر حلب يستنجده، فرحل والأفشين معه، وبلغ العسكر المصري، فتأخَّر إلى الرملة، ووصل تُتُش إلى دمشق، وخرج إليه أتْسِز فقبض عليه وقتله، واستولى على البلد، فاستوحش الأفشين منه، فعاد هارباً، فنهب المعرة وكفر طاب ورفنية، وذهب إلى أنطاكية فأخرب وقتل ونهب، وصانعه أهلُها على ثلاثين ألف دينار، وجرت فيها قصص، ولم يعطوه شيئاً، وراسلوا تُتُش وضمنوا له مالاً، وكان في قلبه منه، فسار يطلبه، فهرب إلى ديار بكر، وعاد تُتُش إلى دمشق، وأظهر العدل،

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٤.

(٢) ختنهم: صاهرهم.

فعُمِّرت، وزُرعت البلاد، وأمنت السُّبل، ودرَّت القوافل، وبعث إلى القدس فحاصره وبه أصحاب أتْسز، وكان قريبٌ له في برج داود، ومعه قطعةٌ من أمواله، وكان بين قتل أتْسِز وما فعله بالقدس مدة يسيرة.

وفي رجب وصل السلطان ملك شاه إلى الأهواز متصيداً، وقبض على ابنِ عَلَّان اليهودي ضامنِ البصرة وقتلَه، وأخذ منه أربع مئة ألف دينار، وكان منتمياً إلى نظام الملك، وكان بين يدي نظام الملك وسعد الدولة الكوهراني وخُمارتكِين الشرابي عداوةٌ، فتوصَّلا في هلاك ابن عَلَّان، وكان ابن عَلَّان قد استولى على البصرة، وماتت زوجتُه، فمشى في جنازتها كلُّ مَنْ فيها إلَّا القاضي، وكانت أسامي الأماكن التي فيها أمواله معه مكتوبة، فلمَّا أمر ملك شاه بتغريقه غرقَتْ معه، ومع هذا فوجدوا له أموالاً عظيمةً، وكان نظام الملك بأصبهان، فغضب وأغلق بابه ثلاثة أيام، فقيل له: المصلحة الرجوع. فرجع، ولمَّا عاد السلطان إلى أصبهان دعاه نظام الملك إلى دعوة خسر فيها جملة، ثم عاتبه عتاباً كان من جوابه ما طيَّبَ به نفسه وإن لم يَرْضَ.

وفي ذي القعدة ورد خطلج أدراز من أصبهان، واجتمع إليه الحاجُّ، وخرج بهم على القاعدة في أكريتهم وخفارتهم.

وفي ذي الحجة توفِّي نصر بن مروان الكردي صاحب آمِد وميَّافارقين، وجلس ولدُه منصور بن نصر موضِعَه، والناظرُ في أموره ابنُ الأنباري من أهل الرحبة.

وفيه فتح مسلم بن قريش حلب.

ذكر القصة:

لمَّا اشتدَّ بأهلها الحصار والغلاء هَجَّ معظمُهم، وجاءت طائفةٌ منهم إلى الموصل، واجتمعوا بمسلم، وأشاروا عليه بقصدها، وكاتبه الأحداث وبنو كلاب ليدفع عنهم الغُزَّ، فأنفذ ولده من خاتون عمة السلطان ملك شاه إليه، وشرط على نفسه في كلِّ سنة ثلاثَ مئة ألف دينار، وللسلطان، فأجابه، وأمره بقَصْدها، فسار إلى قلعة جَعْبَر وحصرها، وكان بها جَعْبر وأصحابُه يقطعون الطرق، فصالحوه على أنهم لا يعودون إلى شيء من ذلك، وسار إلى حلب، فوصلها ثاني عشر ذي الحجة، ومعه بنو كلاب وكلب ونمير وجميع القبائل، وقد أطاعوه خوفاً من الغُزِّ، وأنفق فيهم الأموال، فكسر

الأحداثُ الأبوابَ يوم الجمعة لعشرٍ بقين من ذي الحجَّة، ودخل أصحابُه إليها، ولم يتأذَّ أحدٌ من أهلها، ولا أغلق فيها دُكَّاناً، وراسل سابق بن محمود وهو في القلعة، مراسلة، انتهت إلى أن يزوِّجه سابقٌ بابنته ويُعوِّضه مالاً على أن يُسلِّم القلعة، فرضي، وحطَّ سابقٌ رَحْلَه ومالَه إلى البلد، ولم يبقَ إلا أن ينزل، فوثب عليه أخواه ووثَّاب فقبضا عليه، واستوليا على القلعة، فجمع مسلم مُقدَّمي بني كلاب، وقال: قد علمتم أني أنفقتُ أموالي، وبعدتُ عن بلادي في حراسة بلدكم وأموالكم وكفِّ عادية الغُزِّ عنكم، وهذه مقابلةٌ ما أعرفها، فإن كنتم رجعتم فها أنا أرجع إلى بلادي ومسيري منكم. فأنكروا ما جرى، وشرطوا السعيَ فيه، وإزالةَ ما تجدَّد منه.

قال المصنف رحمه الله: وقفت على تاريخ لدمشق فيه: أن تُتُش لمَّا رحل عن حلب في السنة الماضية وقد ضعُفَ عسكره جاء إلى حماة فاستولى عليها وعلى القلعة التي للمعرة وما يليها، وأطاعه صاحب حمص، فأقرَّه عليها، فلمَّا دخلت هذه السنة بعث بدر الجِمالي بالعساكر مع يُمن الخادم بحصار دمشق، فأرسل أتْسِز إلى تُتُش يقول: أنجِدْني وأكونُ نائبك بدمشق. فجاء تُتُش إلى دمشق، وعاد العسكر المصريُّ إلى مصر، وقبض تُتُش على أتْسِز وخنقه، فكانت أيامُه ثلاثَ سنين وستةَ أشهر وأياماً، ولمَّا استقامت دمشق لتُتُش حشد ليقصد حلبَ، وعَلِمَ سابقٌ، فراسل مسلماً يستصرخه وقال: أنت أولى بي من الغير، والعربية تجمعنا، وكتب: فإن كنتُ مأكولاً فكُنْ أنت آكلي. فسار إليه مسلم بخيله ورَجِلِهِ، فلم يفتح له الباب، ولم يَفِ له بشيء، وكان وعَدَه أن يُعطيه حماة والمعرة وكفر طاب ويقنع سابق بقصبة حلب، وكان أصحاب مسلم قد أسروا الشريف أحمد بن علي الهاشمي رئيس حلب، فاتَّفق مسلم معه سراً وأطلقه، فدخل البلد ومسلمٌ مُخيِّمٌ بظاهره، ففتح له الشريفُ الباب، فدخل، وتحصَّن سابق وإخوته بالقلعة، فحصرهم، ثم تقرَّر الصلحُ على مال وقلاع، وسلَّم إليه القلعة، ونزل منها هو وأهله، وانتهت دولة بني الزَّوقلية، وخطب بها مسلم للخليفة ولملك شاه، وكتب إلى الخليفة، فبعث بعهده إليه وتقليده إياها، وفي ذلك يقول ابن حيُّوس يمدح مسلم بن قريش: [من الكامل]

ما أدركَ الطَّلِباتِ غيرُ مُصمِّمِ ... إن أقدمَتْ أعداؤهُ لم يُحْجِمِ

تركَ الهُوَيْنا للضعيفِ مَطيَّةً ... وسرى إلى العليا بليلٍ مُظْلِمِ
ولقد تحقَّقَتِ العواصمُ أنَّها ... إنْ لم تُلِمَّ بقُطْرِها لم تُعصَمِ
حَنَّتْ إليكَ على البِعادِ فشوقُها ... شوقُ الرياضِ إلى السَّحابِ المُتْجَمِ
يا رحمةً بُعِثَتْ فأحيَتْ أمةً ... قد طال ما مُنِيَتْ بِمَنْ لم يَرْحَمِ
إنَّ الرعايا في جنابِكَ أمَّنتْ ... كيدَ الغَشومِ وفتكةَ المُتَغَشرِمِ
ولقد ظَفِرْتَ بما يَعِزُّ مرامُهُ ... إلَّا عليكَ فدُمْ عزيزاً واسْلَمِ
كانت تعدُّ من المعاقلِ بُرهةً ... وسمَتْ بمُلْكِكَ فَهْيَ بعضُ الأنْجُمِ
مَنْ كُنتَ يا فخرَ الملوكِ ظهيرَهُ ... فبناؤهُ في المجدِ لم يتهدَّمِ
والمجد شِنْشِنَةٌ لآل مُسيَّبٍ ... ماكلُّ شِنْشِنةٍ تناطُ بأخزَمِ

وفي يوم الاثنين سادس عشر ذي الحجة جرَتْ بمكة فتنةٌ سببها غلام تركي لخطلج أدراز، وجرت بينه وبين أحد السودان من جند مكة مشاجرةٌ في حمام، خرج إليه التركي منها، وثار السودان على خطلج وهو قائم يُصلي عند البيت الشريف، فقتلوا ثمانيةً من أصحابه عند الكعبة، وتلاحقه أصحابُه فاستنقذوه، وقتلوا عشرين أسود، وجاء خطلج إلى الدار التي كان نازلاً بها، وزحف إليه السودان، فقتلوا من أصحابه عشرة، وقتل الغُزُّ من السودان جماعةً، وجاء ابنُ أبي هاشم إلى دار خُطلج، فكفَّ السودان، واعتذر إليه، وبعث إليه خيلاً وثياباً، وصلحت الحال، وأُقيمت الخطبة في هذه السنة للمقتدي وللسلطان، وكتب ابنُ أبي هاشم كتاباً إلى عميد الملك ابن جَهير بذلك، وعرض فيه بطلب رسومه.

وفيه تُوفِّي

محمد بن محمد بن أحمد[1]

أبو منصور، العُكْبَري، ولد في رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاث مئة، وكان فاضلاً، فصيحاً، صدوقاً، تشيَّع، يحكي الحكايات المستحسنة، أنشد: [من الوافر]

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٢٣٩ ، والمنتظم ١٦/ ٢٠٨ ، والكامل ١٠/ ١١٧ ، وتنظر بقية المصادر في السير ١٨/ ٣٩٢ . وتحرف في (خ) إلى: محمد، والتصويب من المصادر.

أُطيلُ تفكُّري في أيِّ ناسٍ[١] مضَوا عنَّا وفيمن خَلَّفونا
همُ الأحياءُ بعد الموتِ ذِكراً ونحنُ من الخُمولِ المَيِّتونا
لذلك قد تعاطيتُ التجافي وإن خلائقي كالماء لِينا
ولم أبخَلْ بصُحبتِهمْ لأمرٍ ولكِنْ هاتِ ناساً يصحبونا

وكانت وفاته في رمضان ببغداد.

نصر بن مروان[٢]

صاحب ميَّافارقين، ويُلقَّب نظام الدين، قد ذكرنا أنَّ نظام الملك أخرجه إلى السلطان وأحسن إليه، وأنه سمَّ أخاه سعيد بن مروان، ولمَّا مات وُلِّي بعدَه ناصرُ الدولة منصور، ودُفِنَ عند أبيه نصر الدولة، وخلَّف ثلاثةَ أولاد؛ منصور وبَهْرام وأحمد، وكان وزيرَه أبو طاهر ابن الأنباري، فدبر الملك، وكان قد تقدَّم عند الأمير طبيب يقال له: أبو سالم، وكان عطاراً بسوق العطارين بميَّافارقين، فتقدَّم عليه، حتى أشار عليه بقبض ابن الأنباري، وولى منصور الطبيب، فاستبدَّ بالأمور، وكتب أبو نصر بن محمد ابن جَهير إلى ملك شاه يخبر بما في الخزائن والقلاع من الأموال والجواهر، ويقول: أنا خدمتُ فيها مدةً وأعرفها. فجهَّز إليه العساكر، ومضى فحصر ميَّافارقين وآمِد، وقصد منصور باب ملك شاه، وبعث ملك شاه إلى أُرْتُق بك، فساعد ابنَ جَهير، وضايقوا ميَّافارقين، وقطعوا أشجارها، وشفع الأمراءُ في منصور، فقال للسلطان: يقنع بميَّافارقين وتكون آمِد وباقي البلاد لنا. وكان أبو سالم الطبيب في ميَّافارقين وجماعةِ الأمراء، وبلغه، فكتب إلى منصور، ويقول: لا تنزل عن ملكك، فلو أقاموا عشر سنين ما قدروا علينا. فرجع عن ذلك الرأي، وطالبه السلطانُ بتسليم آمد، فامتنع، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) صدر البيت في (خ) هكذا: "أُطيل فكري في أناسٍ" ولا يستقيم وزنه، والمثبت من المنتظم.
(٢) الترجمة مختصرة جداً في الكامل ١٠/١١٦-١١٧.

هيَّاج بن عُبيد[1]

ابن الحسين بن محمد، الحِطِّيني، وحطِّين: قرية غربي طبرية، ويقال: إن قبر شعيب عليه السلام بها، وبنْتِه صفورا زوجة موسى عليه السلام.

سمع هيَّاج الحديث وتفقَّه، وجاور بمكة، وصار فقيهَ الحرم ومفتيَ أهل مكة، وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، مجتهداً في العبادة، يصوم يوماً ويفطر يوماً، ويأكل في كلِّ ثلاثة أيام مرة، ويعتمر في كلِّ يوم ثلاث مرات على قدميه، وأقام بالحرم أربعين سنة لم يُحدِثْ فيه، وكان يخرج إلى الحِلِّ فيقضي حاجتَه، وما لبس نعلاً في الحرم قطُّ، وكان يزور النبي ﷺ في كل سنة ماشياً، ويزور ابنَ عباس رضي الله عنه في الطائف في كلِّ سنة مرة، يأكل أكلةً بالطائف وأخرى بمكة، وما كان يدَّخر شيئاً، ولم يكن له غيرُ ثوب واحد، وفيه يقول الشاعر: [من الوافر]

أقولُ لمكَّةَ ابتهجي وتيهي ... على الدنيا بهيَّاج الفقيهِ
إمامٌ طلَّق الدنيا ثلاثاً ... فلا طمَعٌ لها من بَعْدُ فيهِ

وكان السبب في وفاته وقوع فتنة بين السنة والشيعة بمكة، فشكا بعضُ الشيعة إلى محمد بن أبي هاشم أميرها، وقال: إن السنة يستطيلون علينا بهياج، فأخذه وضربه ضرباً عظيماً على كِبَر سنِّه، فبقي أياماً ومات، وقد نيَّف على ثمانين سنة، ودُفِنَ إلى جانب الفضيل بن عياض رحمة الله عليه.

السنة الثالثة والسبعون والأربع مئة

فيها كان ملك شاه قد قصد كرمان في السنة الماضية لقتال سلطان شاه بن قاروت بك، فلمَّا وصل إليه رأى أن يطيعه، فخرج إلى خدمته مستأمناً من القلعة، وقبَّلَ الأرض بين يديه، فقام السلطان قائماً وأجلسه إلى جانبه، وتحالفا، وزوَّجه ابنتَه، وعاد السلطان إلى أصبهان.

---

(١) المنتظم ١٦/ ٢٠٩-٢١٠ ، والأنساب ٤/ ١٧٠ . وتنظر بقية مصادر الترجمة في السير ١٨/ ٣٩٣ .